الأهرام

المصدر : الحياه

التاريخ : ٢ ديسمبر ٢٠٠١

"ابو حمزة المصري" يروي لـ"الحياة" قصة الانتقال الى بريطانيا و"التوبة" . . . ثم "الهجرة" الى افغانستان والبوسنة و"لقاء خطاب"

التحقت بالجهاد بعدما قال لي الشيخ عزّام ان "الأمة في سُبات وأفغانستان هي الطريق" عارضت حل "كتيبة المجاهدين" في البوسنة . . . فاتهموني بشق "الجماعة"

إعداد كميل الطويل

□ «ابو حمزة المصري»، مسؤول جماعة «انصار الشريعة»، رجل مثير للجدل. فهو، في نظر كثيرين، مغال في التطرف، برر دماء أهرقت في انحاء عديدة من العالم. يتذكره بعضهم لدوره في الجزائر عندما دعم «الجماعة الإسلامية المسلحة» بعدما تخلّى عنها كثيرون من حلفائها السابقين بسبب القتل الجماعي الذي يُنسب اليها. يشيرون الى علاقته بجماعة «جيش عدن الإسلامي» المتهم بخطف ١٦ سائحاً غربياً قتل اربعة منهم عندما حاولت قوات الأمن تحريرهم من قبضة زعيم الخاطفين زين العابدين ابو بكر المحضار نهاية العام ١٩٩٨. يتحدثون عن تهديداته المتكررة ضد الدول الغربية، وتأييده أسامة بن لادن وعمليات التفجير التي يعتقد ان تنظيم «القاعدة» وراءها.

وفي موازاة هذا التيار من المنتقدين، يبرز تيار آخر يشير الى ان «أبو حمزة» يمثّل تياراً إسلامياً معيّناً ينتشر في كثير من البلدان ويدعو اصحابه الى قلب الانظمة التي لا تحكم بالشريعة الإسلامية. «ابو حمزة»، كما يقول هؤلاء، واحد من معتنقي فكر التيار «الجهادي السلفي»، لكنه ربما أظهر غلواً في تفسيره لبعض آراء هذا التيار، خصوصاً في مواضيع إباحة سفك الدماء.

من هو «أبو حمزة»؟ اين نشأ، وكيف صار «جهادياً»، ولماذا التحق بـ«المجاهدين الأفغان»؟

يروي «ابو حمزة»، واسمه مصطفى كامل، لـ«الحياة» قصة مجيئه الى بريطانيا في السبعينات، وكيف كان توّاقاً لـ«التعرّف على حياة الغرب» أكثر من رغبته في الدراسة. كذلك يورد قصة التزامه الإسلامي وكيف اقنعه الشيخ الراحل عبدالله عزّام بالالتحاق بالمجاهدين الأفغان. يتحدث عن مشاركته في «الجهاد» و«هجرته» مع عائلته الى أفغانستان في بداية التسعينات. يروي ما حصل معه هناك، وكيف فقد يديه والبصر في إحدى عينيه بانفجار خلال مساعدته «المجاهدين الكشميريين». يتحدث عن إنقاذه عدداً من «الأفغان العرب» المسجونين في باكستان، مشيراً الى ان بينهم من بات زعيماً بارزاً لجماعات «جهادية» مثل «خطّاب» أحد القادة العرب في الشيشان.

كذلك يروي «أبو حمزة» قصة «الهجرة الثانية» التي قام بها الى البوسنة، وكيف عارض حل «كتيبة المجاهدين» إثر اتفاق دايتون (الولايات المتحدة) في ١٩٩٥. ويوضح، اخيراً، موقفه من «حمام الدم» الجزائري وكيف انه ساند «الجماعة المسلحة» بعدما وثق بكلام قادة فيها عن انها لا تستهدف قتل النساء والاطفال.

جرى اللقاء مع «أبو حمزة» في منطقة شعبية غربّ لندن. جاء يقود سيارته «المرسيدس» السوداء. انها السيارة ذاتها التي جاء بها عندما قابلته في بداية العام ١٩٩٨. هذه المرة اصطحب إثنين من أطفاله الصغار يرتديان اللباس الإسلامي المميّز: الثوب الابيض الفضفاض. في المرة السابقة جلب ابنه الاكبر محمد المسجون حالياً في اليمن في قضية «جيش عدن». جلسنا في مطعم عربي. طلب «أبو حمزة» أربعة أكواب من الـ«كوكا كولا». وعلى أنغام الموسيقى العربية التي كانت تصدح في القاعة، روى لي هذا الإسلامي المصري قصة مجيئه الى بريطانيا وعمله في مجالات لا يبدو انه فخور بها، ثم «توبته» والتزامه الإسلامي، وتجربته الأفغانية ثم البوسنية وايضاً الجزائرية.

هذه قصة «أبو حمزة»:

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

"الرحلة الى الغرب"

جئت الى بريطانيا عام ١٩٧٩. كنت وقتها في السنة الثانية مدني في (كلية) الهندسة في الاسكندرية. اتيت الى بريطانيا لكي أكمل تعليمي، ولكن لارى ما في الغرب اولاً. كان تطلعي الى رؤية ما في الغرب اقوى عندي من الرغبة في التعليم، إذ ان الإعلام كان يُقدم لنا الغرب على انه جنة - إضافة الى ان الخريجين في بلادنا كانوا يعانون ضياعاً. كان هناك عدد كبير من الخريجين في قطاعات الهندسة والطب، لكن لم يكن هناك احترام للكوادر العلمية وكنا نعيش بطالة مقنعة. فتساءلت في نفسي: هل يجب ان أكمل دراستي في مصر ثم ادخل في سراب التوظيف الذي هو بطالة مقنعة في بلادنا. لذلك قررت ان اتي الى بريطانيا ووصلت في ١٩٧٩.

تزوجت بعد وصولي كاثوليكية بريطانية، اصلها إسباني من جبل طارق. في تلك الفترة من العام ١٩٨٠، إضطررت ان اعمل لكي أنفق على نفسي. عملت في قطاع أرى فيه فساداً ومنكرات، ويؤدي في كثير من الاحيان الى سقوط ضحايا. بدات أفكر في وضعي. تعبت من هذه الحياة المادية التي وجدت نفسي فيها. حصل ذلك في وقت احبت زوجتي ان تتعلم عن الإسلام، فاشتريت لها قرآناً باللغة الإنكليزية. اخذت إجازة من عملي في شهر رمضان في ذلك العام لكي أعلمها الصوم والصلاة. في بداية العام ١٩٨١، تبت الى الله وصرت أصلي واصوم وأعمق دراستي الدينية. وأذكر ان إبني محمد ولد في الليلة التي قتل فيها (الرئيس الراحل انور) السادات (في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨١).

حننت في تلك الفترة الى استكمال تعليمي لانها كانت رغبة والدي. فاخوتي الأصغر مني كانوا انتهوا أو كادوا ينتهون من دراستهم الجامعية. سعيت الى الالتحاق بإحدى الجامعات البريطانية، وهو امر فعلته. انهيت دراستي في جامعة برايتون قسم الهندسة المدنية، وحصلت - الحمد لله - على مرتبة الشرف.

عملت في هذه البلاد مهندساً مدنياً في مشروعات كبيرة. كنت مهندساً ناجحاً وأعطيت سيارة من الشركة ومرتباً عالياً. عملت مهندساً مدنياً في مشروعات كبيرة في الكلية الحربية في ساندهيرست التي يتخرج منها الملوك والرؤساء. كنت مسؤولاً عن مشروع كبير توازي قيمته الآن ٣٠ مليون جنيه استرليني (نحو ٥٠ مليون دولار). كذلك عملت في مشروعات صناعية، وهندسة طرق، وبناء مواقف سيارات، ومخازن وقود، وعمليات هدم. بعد ذلك عملت في مشاريع مدنية عديدة بينها «نفق الستراند» («الغراند تانل» في لندن). كان النفق مبنياً من قبل، لكن طلب منا إعادة إصلاحه وتغليفه من الداخل. وبما انني مسلم، كنت عندما اعمل في هذه البلاد اود ان اتعرف الى المقاييس الحربية والفارق بين البناء المدني والبناء العسكري من ناحية قوة التحمل والتكاليف، وقد استفدت من ذلك كثيراً جداً.

"الجهاد الأفغاني"

في البدء لم اكن متفاعلاً مع اخبار الجهاد في افغانستان. لكن في منتصف الثمانينات بدات تصل الى بريطانيا اعداد من الجرحى الافغان الذين أصيبوا في مواجهات مع القوات الروسية. هنا بدا انجذابي الى القضية الافغانية. كنت اذهب لمؤاساة الجرحى الذي يُعالجون في مستشفيات بريطانية. لكنني صدمت. إذ رأيت اشخاصاً ياتون من جبهات القتال وقد خسروا اطرافهم لكنهم سعداء. لم افهم كيف يكونون فرحين في حين احاول، مع غيري، التقليل من المهم للإصابة التي لحقت بهم. كان بعضهم يُركّب اطرافاً اصطناعية ويعود الى افغانستان لكي يلتحق بجبهات القتال مجدداً. فصرت اتردد الى افغانستان بنفسي. ذهبت مرات عدة حتى قررت في النهاية الهجرة مع عائلتي الى هناك.

حصل ذلك بعد لقاء مع الشيخ الراحل عبدالله عزام (الشيخ الفلسطيني المعروف الذي قاد حملة عالمية لدعم الجهاد الأفغاني والذي يُعتبر الأب الروحي لـ«الأفغان العرب»). قابلت الشيخ عبدالله عزام في موسم الحج سنة ١٩٨٧. طلب مني الذهاب الى افغانستان لمساعدة الافغان من الناحية الهندسية ومن الناحية العسكرية إذا استطعت، إذ انهم يحتاجون الى رص الطرق ونزع الالغام وبناء خنادق، إذ كان بعضها يتدمر او يسقط على من فيها، واشياء اخرى من هذا القبيل.

وبالفعل ذهبت الى افغانستان. بدأت بالتردد عليها جيئة وذهاباً، وانقل الاخوة المصابين الى المستشفيات وأحاول ان اجد لهم ارخص مراكز الاستشفاء تكلفة. وهكذا بنيت بيني وبينهم علاقة صداقة حميمة، قبل ان اقرر الهجرة الى افغانستان.

وأذكر انني قبل ذهابي الى افغانستان كنت متحفظاً عن جدوى الجهاد هناك. سالت الشيخ عبدالله عزام: كيف أذهب الى أفغانستان يا شيخ عبدالله؟ إنك تطلب مني ان اذهب لكي اجاهد في افغانستان وهي بعيدة الفي ميل عن بريطانيا في حين ان بيننا وبين القدس حائطاً من الأسلاك، فكيف لا تامرنا ان نتخطاها وتطلب منا الذهاب كل هذه المسافة الى افغانستان؟ كنت ارى في ذلك الوقت ان بعض المشايخ لا يرون الوضع جيداً. فقال لي: الامة في سبات، وافغانستان هي الطريق وإن اختلف الاتجاه. إنها الطريق الى التدريب والاستعداد ولانشاء كوادر تُقاتل من هذه الأمة.

ما قاله الشيخ عزّام فيه جانب كبير من الصحة. الأمة كانت في سبات والحرب مع اسرائيل هي حرب مع اميركا ومع كثير من الانظمة التي نحسبها إسلامية. هو كان مستوعباً البعد القتالي اكثر مني. كنت انا مستوعباً فقط لجزء عقائدي وفي الوقت نفسه لجزء ملح من اسئلة الشباب. فقد كانت هناك شبهة معيّنة على اساسها رفض كثير من الناس الذهاب للقتال في افغانستان: لماذا نقاتل في افغانستان وفلسطين اقرب الينا؟ لكنه كان على حق. اعتقد ان الشيخ عبدالله عزام كان يعلم انه سيُقتل، رحمه الله، منذ اليوم الاول لحمله راية الجهاد الافغاني، لكنه كان يراهن على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

غفلة الأعداء. ضحى بنفسه وكان يعرف انه سيُقتل. حاول ان يوحد الصفوف. ودعنا لا ننسى ان الشيخ عزام فلسطيني. فإذا كان العربي لا ينسى فلسطين فكيف بالفلسطيني؟ وجدت منه تحفزاً للقتال. كان يريد إبعاد الوجهة عن فلسطين حتى يكتمل الاستعداد.

وجدت في كلامه من المبررات الشرعية ما يُطمئن القلب. لكن بعض الناس لا ترى سوى الأبيض والأسود: إما ان يكون معنا او يكون علينا، وإما ان يكون مؤمناً مثل عمر بن الخطاب وإما ان يكون كافراً. وهذا طبعاً ليس من الدين.

الشيخ عزّام كان محقاً. لكنني كنت اظن انه سيستعد قليلاً للمؤامرة المحاكة ضده. وبالفعل عندما انتهت الحرب الافغانية قُتل عبدالله عزام لانه الوحيد في ذلك الوقت الذي كان يستطيع تجميع الشباب ضد اسرئيل. المجاهدون يعرفون تدخل «الموساد» والانظمة العربية مع أميركا وباكستان في قتل الشيخ عزام. كتب للأمة ان تكون يتيمة. كل انسان يحاول ان يرقى بالأمة يكون مصيره إما ان يُقتل او يشوه إعلامياً او ينتهي بصورة من الصور. والهدف هو ان تبقى الأمة بلا قائد وان لا تحترم سوى من قُتل منها. رحم الله الشيخ عبدالله، لقد جاد بنفسه وهو يعلم انه سياتي عليه وقت ويُقتل غدراً، وقد حدث.

في أي حال، اقتنعت بكلامه عن ضرورة المشاركة في الجهاد الافغاني. إذ لا بد من العُدّة قبل العمل إن أمكن. فبدات أعد العدة للهجرة وليس فقط الاكتفاء بزيارات خاطفة الى افغانستان.

"الهجرة الى أفغانستان"

ترددت على افغانستان مراراً في ١٩٨٩. لكن الهجرة الدائمة اليها لم تحصل سوى في ١٩٩٠. كنت اترك عائلتي في بيشاور وادخل الى الاراضي الافغانية.

عندما هاجرت من هنا (بريطانيا) اخذت «كونتينر» (حاوية) تحوي سيارة وأجهزة كمبيوتر واشياء أخرى للمجاهدين، إضافة الى اغراض كثيرة. دفعت كل الرسوم من أجل شحن «الكونتينر» استعداداً للهجرة... لكنني لم أره حتى الآن، نظراً الى البيروقراطية والرشاوى في باكستان. لم اكن اعرف كيف اتعامل مع مثل هذه الامور... حتى انني فشلت في ان اشتري اغراضي الخاصة في المزاد العلني. كان «الكونتينر» في كراتشي، في حين كُنت انا في بيشاور أو داخل افغانستان، فلم استطع ان اسافر لاشتري اغراضي التي بيعت بالمزاد العلني هناك. لم أر «الكونتينر» منذ وضعت القفل على بابه قبل شحنه من بريطانيا.

كل انسان يذهب الى افغانستان ولا يتدرب تدريباً عسكرياً يكون من الذين اتخذوا دين الله لهواً ولعباً. لا بد من التدريب. اما نوعية التدريب وكثافته فتختلفان من شخص الى آخر بحسب ما يرى فيه وبحسب ما يرى هو في نفسه. الحمد لله كان افضل شيء عندي هو إعادة البناء والمساعدة في وقف الدولة على ساقيها. وكانت أيضاً عندي مهمة أخرى هي إعداد مهندسين. وتمكنت بإذن الله من إعداد ٦٠ مساعد مهندس في افغانستان وتدريبهم على اشياء صغيرة من الهندسة وإدارة المواقع الهندسية والتعامل مع الهيئات الحكومية وإدارة الملفات، فالبنية التحتية لا تحتاج الى مهندس في كل مشروع.

علمتهم وتعلمت منهم طريقة الإغاثة بما يوافق الشرع. وجدت ان منظمات الأمم المتحدة على قدر ما عندها من إمكانات وخبرات تُساعد بطريقة تهدر الآدمية والاخلاق. فمثلاً كنت مسؤولاً عن مشروع يتكفل بمهجّرين. فقد كان وقتها (زعيم الحزب الإسلامي غلب الدين) حكمتيار يضرب في كابول والناس يهاجرون منها، واهل كابول غير معروفين بالتدين. كان مفروضاً بي إقامة معسكرات للمهجرين في منطقة ساروبي ما بين جلال آباد وكابول. وكانت الامم المتحدة تتنافس معنا على هذه المخيمات. عُينت رئيس المهندسين في ولاية ننغرهار وعاصمتها جلال آباد، وكان ضمن المشروعات التي اشرفت عليها استقبال المهاجرين ونصب مئات الآلاف من الخيام لهم. كانت طريقتنا هندسية واجتماعية في آن: بين كل خيمة وخيمة خمسة أمتار، وأماكن النساء غير أماكن الرجال، والمساجد في اماكن معينة، والتمريض في اماكن اخرى، والهدف ان يكون كل شيء منظماً بحيث لا يحدث الإختلاط وتحصل الفاحشة.

ولكن على رغم إمكانات الأمم المتحدة والخبرات التي لديها، فإنها كانت تتعمد إقامة الخيام على بعد نصف متر بين الواحدة والاخرى، وحمامات النساء بقرب حمامات الرجال لكي تحصل الفتن.

ظللت حتى العام ١٩٩٣ في افغانستان ولم اكن افكر بالعودة (الى بريطانيا) لولا محاولة (باكستان) تسليمي الى مصر. وحتى الآن ما زلت أحاول العودة الى افغانستان لكن قطاع الطرق علي كثيرون. صحيح انه ليست ضدي اتهامات معينة سوى في اليمن والجزائر، لكن ما حصل مع «أبو طلال» (أبو طلال القاسمي، واسمه طلعت فؤاد قاسم مسؤول مجلس شورى «الجماعة الإسلامية» المصرية) عندما خطف في كرواتيا خلال ذهابه الى البوسنة (في ١٩٩٥) يمكن ان يحصل أيضاً معي.

في تلك الفترة من أوائل العام ١٩٩٣ حصل حدث جلل تسبب في تشتت العرب في أوروبا كلها: إذ مارست اميركا ضغوطاً كبيرة على باكستان لاعتقال العرب على الهوية في بيشاور. حصلت حملة واسعة ضد العرب في هذه المدينة. كان يُسمح لأجهزة استخبارات عربية بدخول مقرات العرب في بيشاور، وتُفتح لها ملفات العرب

www.ethraadl.com
ثراء المعارف الرقمية

سألت الشيخ عبدالله عزام: كيف أذهب الى أفغانستان يا شيخ عبدالله؟ إنك تطلب مني ان أذهب لكي أجاهد في افغانستان وهي بعيدة آلفي ميل عن بريطانيا في حين ان بيننا وبين القدس حائطاً من الأسلاك. فكيف لا تأمرنا ان نتخطاها وتطلب منا الذهاب كل هذه المسافة الى أفغانستان؟ كنت أرى في ذلك الوقت ان بعض المشايخ لا يرون الوضع جيداً. فقال لي: الأمة في سُبات، وأفغانستان هي الطريق وإن اختلف الاتجاه.

الموجودة لدى الباكستانيين لكي تنتقي منها اسماء معيّنة وتطلب تسليمها. حتى انا نفسي اصبحت في قائمة المطلوبين ولا اعرف لماذا.

قمتُ بحملة ضد الحكومة الباكستانية واخذتها الى المحكمة. هذا أمر غريب في بلداننا العربية لكن الحقيقة ان في باكستان عدالة اكثر من بلداننا. أخذت الحكومة الى المحكمة وكسبت القضية ضدها، إذ كان القضاء متعاطفاً مع المجاهدين. واذكر ان القاضي قال للمدعي العام: انتم تتهمون هؤلاء (اي العرب الذين قاتلوا في افغانستان) بالإرهاب وقد كنتم تقولون عنهم ابطالاً بالامس، فكيف ذلك؟ والحقيقة ان الدفاع عنا كان قوياً، وازدادت قضيتنا قوة بسبب التظاهرات التي خرجت تاييداً لها.

والذي حصل خلال المحاكمة انني اضطررت ان اضمن الاخوة الذين كانوا في السجون في سبيل الإفراج عنهم بكفالة. وقد سمحت المحكمة بان اضمنهم جميعاً، وكانوا حوالي ٥٢ اخاً عربياً. أعطوني جوازات الكثير من هؤلاء بشرط ان اضمن خروجهم من البلاد خلال اسبوعين. لكن كثيرين من الأخوة كانت جوازاتهم منتهية وليس في إمكانهم تجديدها في سفارات بلدانهم او الحصول على بطاقات هوية. كذلك لم يكن امامهم مكان يذهبون اليه ولم تكن معهم فلوس لكي يدبّروا انتقالهم الى دول اخرى. فقالوا لي: لن نكذب عليك. نريد الجوازات لكننا سنهرب الى داخل افغانستان. لم يكن لي اي خيار في ذلك. قالوا لي: انت تحمل الجنسية البريطانية، فإذا قبضوا عليك ستمضي شهرين في السجن على الاكثر وسياتي السفير البريطاني لإخراجك. فقلت لنفسي: هم على حق، فلنُجرِّب الجواز الانكليزي. اعطيتهم جوازاتهم وهربوا الى افغانستان. ومن بين هؤلاء من اصبح لاحقاً من قادة المجاهدين وبينهم «خطاب» (القائد العربي للمجاهدين في الشيشان)، وآخرون تولوا قيادة حركات إسلامية. وهذا يدل على ان الأمة فيها خير كثير.

بعد ذلك وجدت الحكومة الباكستانية ان هؤلاء لم يسافروا ولا يوجد دليل عندي على انهم سافروا، فاصدرت امراً بالقبض عليّ.

الإصابة

كنت آنذاك قد دخلت الى افغانستان التي تعيش صراعاً بين غلب الدين حكمتيار (الحزب الإسلامي) وأحمد شاه مسعود (الجمعية الإسلامية). لم اشا الدخول في صراعات الأفغان انفسهم. كنت اؤيد اي تيّار تغييري ينضبط بضوابط اهل السنة والجماعة. كنت اميل الى التيار السلفي الجهادي، لكنني لم انتم الى جماعة معيّنة او حزب من الأحزاب الافغانية بسبب ما رأيته من التعصب وعدم الأخذ بآليات سُنية في القيادة. لذلك حوّلت جهدي لدعم المجاهدين الكشميريين. وفي إطار دعمي هؤلاء، أصبت بانفجار في منطقة سارحك قرب جلال آباد في ١٩٩٣. فنُقلت الى المستشفى العسكري في باكستان. حُجزت فيه. كانت الشرطة تريد ان تحقق معي. بعض مسؤولي الشرطة كان يريد ان يعرف ملابسات الإصابة، وبعضهم الآخر يريد سجني لانني هرّبت الأخوة وخدعت القضاء عندما ضمنتهم. لكن الجيش الباكستاني كان يعتبرني بطلاً من ابطال الجهاد ولا يريد ان يسمح للشرطة بان تُحقق معي. صار هناك خلاف بين الجانبين، وهرّبت من المستشفى.

(يرفض «ابو حمزة» الإدلاء بمزيد من المعلومات عن طريقة هربه، على اساس انها يمكن ان تضر اشخاصاً في باكستان)

بعد ذلك حاولوا (اجهزة الأمن الباكستانية) ان يدخلوا الى بيتي في بيشاور، فهربت الى بريطانيا وتركت بعض اولادي في افغانستان. تمكّنت في بريطانيا من تركيب طرف صناعي، وعدت الى باكستان بعد فترة لكي استرجع اولادي. مكثت هناك اسبوعاً، لكنني شعرت بان الحكومة الباكستانية تُراقبني. فنشرت بين الناس خبراً مفاده انني ساسافر بعد اسبوعين. لكنني سافرت فوراً. وفي اليوم التالي لمغادرتي، هاجمت الحكومة الباكستانية بيتي وضربته بالقنابل، لكن الأخوة المتحصنين فيه رفضوا الاستسلام. قُبض على ثلاثة منهم وسلّموا الى مصر ولم نعرف عنهم شيئاً منذ ذلك التاريخ. كذلك قُبض على اخ

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

جزائري يدعى مصطفى (قتل لاحقاً). اعتقل لمجرد الاشتباه في تطابق اسمه الأول مصطفى مع إسمي. قال لهم: انا عندي يدان وهو (ابو حمزة) ليست عنده يدان. لكنهم على رغم ذلك قبضوا عليه. وقد نجح من الفرار من السجن باعجوبة.

هجرة ثانية الى البوسنة

بعد عودتي الى بريطانيا، إثر اصابتي في باكستان، ظهرت قضية البوسنة. فذهبت اليها أكثر من ثلاث مرات، الى ان قررت ان اترك بريطانيا واهاجر اليها. فهاجرت، والحمد لله، وعملت مع إخواني على نقل الجرحى واسعافهم. لم اكن اتوقع ان تتكرر في البوسنة مشكلة «العرب الأفغان» بعد انتهاء الحرب في افغانستان.. لذلك عندما فكر بعض قادة كتيبة المجاهدين في حلها إثر اتفاق دايتون في نهاية ١٩٩٥، قلت لبعض الاخوة الجزائريين والعرب: إذا هم قرروا حل الكتيبة يتعين عليكم انتم ان تقوموا بكتيبة أخرى ولا يجوز لكم ان تُلقوا السلاح لانه نعمة من عند الله، والله سبحانه وتعالى يقول من يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب. حذّرتهم: إذا انحلّت كتيبة المجاهدين، ماذا سيحلّ بالمصري والجزائري والتونسي والليبي؟ اين سيذهبون؟ سيلاحقون ويطاردون، وهذا ما حصل فعلاً. لكن القيادة في البوسنة ظنّت ان كلامي هو شق للجماعة من داخلها، وهذا لم يكن ابداً قصدي. ظلّوا يضيقون عليّ حتى خرجت من البوسنة. وليس بيني وبين احد منهم مشكلة شخصية. فهم من افاضل الناس واقوى المجاهدين الذين رايتهم تنظيماً. لكن يحزنني اننا في كل مرة نكسب المعركة ونخسر الحرب التي هي أشمل من المعركة. المعركة قتال، اما النصر في الحرب فهو استثمار لهذا القتال. ونحن نفشل دائماً في ذلك، وغالباً ما يذهب جهدنا الى يد الغرب او يد الحكومات التي نحن ضدها.

التفرغ للدعوة

اتيت مجدداً الى بريطانيا سنة ١٩٩٦ وقررت ان اعمل دفاعاً عن المجاهدين. إذ كانوا يُطاردون في كل مكان. فانشات «انصار الشريعة» ليكون العمل الذي افعله يصب في خانة واحدة لا خلاف فيها. لانني متاكد ان كل المشاكل التي نحن فيها هي بسبب غياب الشريعة. ولولا غيابها لما حصل للحاكم والمحكوم ما يحصل الآن.

ثم قررت ان اتفرغ للدعوة ولا اعود الى الهندسة. كنت استطيع ان اعمل بالشهادة التي احملها في المجلس البلدي او التدريس لو اردت. في افغانستان لم اكن اتكلم عن الدين، بل عن البناء والإنشاء ومساعدة الناس. اما هنا فالبلاد كلها عمران، لذلك اتكلم عن الدين. الناس هنا يحتاجون الى القيم والمبادئ والدين. خوفي من الجلوس في بريطانيا اكثر من خوفي من الجلوس في افغانستان. والله سبحانه وتعالى يُبدّل السنن. فسيكون هناك امان في افغانستان وستبدا مرة اخرى دورة حرب خطيرة في اوروبا. هذه سنّة الله في الحياة. ولذلك اخاف من الجلوس في بريطانيا اكثر من خوفي من الجلوس في افغانستان. المشاكل التي يمكن ان تحصل في بريطانيا لي ولعائلتي ولامثالي ... اكثر من مخاطر الجلوس في بلاد الحروب مثل افغانستان. فماذا يمكن ان يحصل لنا هناك؟ تسقط قذيفة فنموت ونُدفن. فالموت ياتينا في كل مكان. اما ما يمكن ان يحدث في اوروبا من تصفيات عرقية ومن افتراءات او مثل ما يحصل في بلادنا من اعتقالات،

فهذا اوجع للقلب واكثر حيرة للإنسان.

ولذلك فإن كثيرين من الاخوة يحاولون الآن الهجرة الى افغانستان (المقابلة أجريت قبل بدء الضربات الاميركية) واماكن اخرى خوفاً على عائلاتهم. وانا اشجعهم على ذلك. الذي لا يستطيع ان يهاجر لا بد ان يقول كلمة الحق ولا يجوز الآن للإنسان ان يبني مجده على حساب الآخرين ومصائبهم. فمن يستطيع ان يهاجر لا بد ان يهاجر. وهذا ليس فقط من أجل الدين بل ايضاً من اجل المحافظة على المبادئ والقيم التي تربيّنا عليها. لا يمكننا الامتزاج مع هؤلاء الذين قرروا ان يفصلوا الدين عن الدولة والإنسان عن فطرته. لا يمكن الجلوس مع هؤلاء إلا في فترات تماس لا تكون تقاطعية ولا تكون اتحادية ابداً.

اشجعهم على الهجرة وهم في سن مبكرة لكي يحافظوا على اخلاقهم وقيمهم واتحاد اسرتهم. ولكن لماذا اشجع على الهجرة الى افغانستان؟ اشجعها لانها هجرة من اجل الدين، وهم مطاردون بسبب اديانهم ومعتقداتهم. فلا بد من ان تحتضنهم دولة تحترم هذه العقائد وهذا البعد الديني. فلذلك ليس امامهم سوى افغانستان واماكن القتال التي يهرب منها الناس. ولو كان في بلادنا من يُعيننا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكانت بلادنا اولى بنا. فشئنا ام ابينا نحن غرباء في كل العالم.

'تصدير الجهاد'

عندما خرج الروس من افغانستان في ١٩٨٩ تركوا وراءهم نجيب الله الذي كان بمثابة سكينهم يذبح بها الافغان ولا يطبق بها شرع الله ويعادي بها الحركات الإسلامية. من اجل ذلك، عندما طلبت اميركا وانظمة عربية استمرار الجهاد ضد نجيب الله على رغم انسحاب الروس، بدا الناس – او بعضهم – يفطنون: ما الفرق بين نجيب الله كرجل يدعي الإسلام وينطق بالشهادتين ويصلي التراويح ويستقبل الفقهاء ويكرمهم لكنه يعارض تطبيق الشريعة الإسلامية ومع ذلك تامر اميركا وانظمة عربية بقتاله لانه متشبع بالافكار الروسية، ما هو الفرق إذن بينه وبين الذين يتشبعون بالافكار الروسية في بلادنا، مثل الجزائر واليمن ودول كثيرة اخرى؟

عندما بدا العرب الافغان يفطنون لهذا المسالة عرفوا انهم يُستغلون لتصفية حسابات شخصية غير دينية لبعض

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الانظمة. فقرروا ان يردوا الصاع صاعين والكيل مكيالين. فقالوا للانظمة: ما الفرق بينكم وبين نجيب الله؟ سنقاتلكم حتى تقيموا شرع الله وتكفوا عن عدائكم للإسلام وتوجهوا مدافعكم الى اليهود والنصارى والذين يقاتلون المسلمين.

وهذا ما فعله الكثير من ابناء الحركات الإسلامية الذين نجحوا في تصدير حركتهم الى بلدانهم. من هذه الحركات ما بدأ ومنها ما لم يبدأ بعد ومنها ما تعب واستراح لكنه سيعود مجدداً بإذن الله.

الموقف من الجزائر

لقد قيل الكثير في موقفي من الجهاد في الجزائر. موقفي من الدولة الجزائرية لم يتغيّر. اما موقفي من الجماعات التي تستخدم الإسلام في صراعها وهي ليست حقيقة بإسلامية مثل «الجماعة المسلحة» او جماعات الخوارج - او الجماعات التي تُخذل على الجهاد وتاتمر بطاعة الدولة فإن موقفي منها هو: لا إفراط ولا تفريط. نعم موقفي يتغير. كنت اشجع بعض هذه الجماعات من قبل. ولكن عندما يتبين انهم يكذبون وانهم يصولون على اهل بلدهم ويتنكرون حتى لمبادئهم التي قاموا من أجلها، فذلك يوجب تغيير الموقف منهم. لكن موقفي واضح منذ البدء من مسالة الفتوى بقتل النساء والولدان. فقد قلت انني لا استمر في نصرة «الجماعة» إلا بعد ان تعدنا بانها ستصدر فتوى بنكرانها وبان لا تقوم بها وان لا تُكفّر الشعب. وعلى هذا الأساس، كتبت «الجماعة» كتاب «السيف البتار». لكن الذي حصل هو انهم تنكروا لما وعدوا واعلنوا بلا حياء ما كانوا يفعلونه على الأرض (قتل النساء والأطفال وتكفير الشعب). فوجب علينا تركهم بل التحريض عليهم. نحن نرتبط بـ«الجماعة الام» التي لم يبق افرادها بل بقيت مبادؤها. اما موقفنا من الحكومة فثابت وهو انه يجب عليها ان تحكم بالإسلام.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية